(07) المشكلة الثالثة [تاريخ الفلسفة الحديثة]

كيف تمكّن الفكر الفلسفي الحديث من تجاوز النظرة السكولائية، وتأسيس نظرية في المعرفة قائمة على العقل وعلى التجربة، وكيف استفاد من تطوّر العلم في جعل هذه النظرية تنويرية، نقدية، ونسقية شاملة ؟

* * *

مقدمة : طرح المشكلة

I. نشأة الفلسفة الحديثة ونزعتها الإنسانية

II. تحرّر الفلسفة الحديثة من هيمنة الفكر التقليدي

أولا: تجاوز سلطان الفكر التقليدي والأخذ بمرجعية التجربة : فلسفة فرانسيس بيكون

1. ضد التقليد و الانتصار للتحقّق التجريبي؛

2. نظرية الأوهام الأربعة؛

3. الاتجاه الفلسفي لـ " بيكون " .

ثانيا : تجاوز سلطان الفكر التقليدي والأخذ بمرجعية العقل: فلسفة رنيه ديكارت

1. من الشكّ إلى اليقين ؛

2. المنهج من المنطق الصوري إلى النظام الرياضي.

III. الفلسفة و دورها في تحرير وعي الإنسان و تنويره

IV. معيار الحقيقة بين العقل والواقع.

أولا : الحقيقة تطابق الفكر مع ذاته ؛

ثانيا : الحقيقة تطابق الفكرمع الواقع.

خاتمة : حلّ الإشكالية

تطبيق : نص فلسفي

http://www.onefd.edu.dz
جميع الحقوق محفوظة (C)

مقدمة : طرح المشكلة

إنّ المشكلة التي تواجهنا، ونحن مقبلون على دراسة تاريخ الفلسفة الحديثة ،لا شك في أنّها تثير عددًا من التساؤلات :

كيف تمكّن الفكر الفلسفي الحديث من تجاوزالنظرة السكولائية، وتأسيس نظرية في المعرفة قائمة على العقل وعلى التجربة؟ وكيف استفاد من تطوّر العلم في جعل هذه النظرية تنويرية، نقدية، و نسقية شاملة ؟

I. نشأة الفلسفة الحديثة و نزعتها الإنسانية

بدأت النهضة الأوربية الحديثة مع منتصف القرن الخامس عشرة الميلادي، ويؤرّخ لها بعض المفكرين بفتح القسطنطينية من طرف المسلمين في عهد الدولة العثمانية، كتب يوسف كرم : " إذا كان المؤرخون يعتبرون فتح الترك للقسطنطينية سنة 1453، وما تبعه من انهيار الامبراطورية البيزنطية وهجرة علمائها إلى إيطاليا، نقطة التحوّل منالعصر الوسيط إلى العصر الحديث، فما ذلك إلاّ لظهور هذه الأحداث التي كوّنت نسيج التطوّر الجديد، إن التدرج قانون التحول الاجتماعي"[1].

ربّ ضارة نافعة كما قيل، إن الاندحار العسكري للأوربيين حرّك الهِمم في المجتمعات الغربية، وبدأ التغيير للخروج من عصر إلى عصر آخر، من القرون الوسطى إلى العصر الحديث بحسب التقسيم الغربي للفكر والفلسفة الأوربيّن. وتحوّل الغرب من ثقافة العصور الوسطى إلى الثقافة الحديثة، لم يكن فجائيًا ودفعة واحدة، وإنّما تمّ تدريجيًا وفي مجالات فكرية واجتماعية مختلفة. وبدأ

---

[1] . يوسف كرم – من كتاب الفلسفة الحديثة – الناشر كلمات عربية للترجمة والنشر – القاهرة مصر، ص. 9.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

هذا التحوّل بما عُرف بـ"الإصلاح الديني"، حيث قامت حركات دينية بعضها إصلاحي وبعضها الآخر ثوري ومن الحركات التي كُتب لها النجاح وساهمت في التحوّل الذي حدث في أوربا، **حركة "مارتن لوثر**[1]" في ألمانيا و **حركة "كالفن**[2] " في فرنسا. وفي مجال الآداب والفنون أحيا الأوربيونالتراث الأدبي والفني اليوناني القديم،أما على المستوى المعرفي قامت محاولات من بعض الفلاسفة والمفكرين للتحرّر من سلطان الكنيسة وهيمنة الفلسفة الأرسطية، وساهمت تلك المحاولات في "استقلال" بعض العلوم والتي اعتمدت على الملاحظة والتجريب والقياس الرياضي كـ"منهجٍ" بدلا عن المنطق الأرسطي الذي هيمن على الفكر الأوربي أكثر من ألف عام. و كانت تلك التغيرات جميعًا تمهيدًا كي تدخل أوربا عصرًا جديدًا هو عصر **الحداثة. وأهمّ ما يميّز هذا العصر؛ أخي الطالب ؛ هو حرية الفكر واستقلال العقل في أحكامه عن كلّ سلطة أخرى خارجة عنه.** وبهذا كانت **العقلانية** سمةً أساسيةً من سمات الحداثة الغربية. وقد أشار "زكي نجيب محمود" إلى مجالات التحوّل في الثقافة الأوربية والتي انتقلت بالمجتمعات الأوربية من القرون الوسطى إلى العصر الحديث قال : " ولم تكن هذه النهضة الفكرية حادثة

---

[1]. مارتن لوثر1483– 1546 Martin Luther لاهوتي ومصلح ديني ألماني شهير يعتبر مؤسس المذهب البروتستانتي Protestantisme ، وهو أحد المذاهب الدينية الثلاثة : الكاثوليكية والأورثودكسية.

[2]. "جون كالفن 1509– 1564 Jean Calvin" لاهوتي ومصلح فرنسي، يعتبره البروتستانتيون أحد منظري الديانة المسيحية، من أهم مؤلفاته باللاتينية " نظم الديانة المسيحية"، ومن أهم فصوله فصل خاص بالحرية المسيحية وسلطة الكنيسة والسلطة المدنية. ويعرف مذهبه بـ" Calvinisme ".

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

مباغتة جاءت عرضًا بغير تمهيد،إنّما هي نتيجة طبيعية لثلاث حركات كبرى شهدتها أوروبا و: هي **بعث الآدابالقديمة**، و**الإصلاح الديني**، و**نشأة العلوم الطبيعية**؛ وليست هذه الشعب الثلاث في حقيقة الأمر إلاّ**مظاهر مختلفة لنهضةٍ واحدةٍ شملت أوربا بأسرها فبعثتها بعثًا جديدًا**"[1].

كما تميزت الفلسفة الحديثة؛ أخي الطالب؛ **بنزعةٍ إنسانيةٍ**، والتي يمكن تلخيص خصائصهافيما يلي :

1. العناية بالإنسان، والإعلاء من شأنه وتثقيفه ومساعدته ليعيش حياةً سعيدةً في هذه الدنيا.
2. رفض الاستبداد الديني والتشجيع على الحريات الفردية.
3. تمجيد الحياة الدنيا، ورفض الاحتقار الذي كانت تنشره الكنيسة لهذه الحياة.
4. التأكيد على النزعة الفردية للوجود الإنساني وإعلائها على حساب الغيرية، وأكثر ما ينظر للغير على أنه صرة أخرى للأنا.
5. النظر إلى الإنسان ككائن خيِّر ورفض النظرة المسيحية التي تنظر للإنسان على أنّه جاء إلى الدنيا للتكفير عن الخطيئة.

وبسبب هذه المعارضات مع مسيحية القرون الوسطى اعتقد كثيرٌ من الكتاب أن النزعة الانسانية معارضةٌ للدين، بل إنّ بعض الفلاسفة في القرون التالية، اعتبروا الدينَ عائقًا ويتعارض مع النزعة الانسانية على نحو ما فعل

---

[1] . قصة الفلسفة الحديثة، تصنيف زكي نجيب محمود . الناشر لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1936 القاهرة، ص: 36.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

الفيلسوف الفرنسي " ديدرو 1713 – 1784Diderot"، وهو في الحقيقة أمر غير دقيق.

6. معارضة كل حكم استبدادي والدعوة إلى إشاعة الحريات الفردية والجماعية. وقد كان لهذه المعارضة تأثيرٌ واضحٌ في الثورتين الأمريكية والفرنسية، وبالتالي كانت هذه المعارضة، كذلك تمهيدًا لقيام أنظمةٍ جمهوريةٍ وديمقراطية في الدول الغربية.

II. تحرّر الفلسفة الحديثة من هيمنة الفكر التقليدي

أولا : فرانسيس بيكون Bacon Francis(1561-1626) فيلسوف إنجليزي. وُلد في فترة عرفت بداية تغيرات عميقة في المجتمع الأوربي على المستوى الديني والاجتماعي والعلمي. فترة وُجد فيها علماء أمثال "غاليلو" و"كوبرنيكوس" و "جلبرت" . لكن اهتمامات "بيكون"اتجهت أكثر إلى إصلاح العقل؛ ورسم المنهج الذي يحرِّره من قيود المنطق القديم. إنّه كان يرسم طريق المستقبل للبشرية. وكان على وعي تامٍّ بالمَهمة التي اضطلع بها آنذاك، حيث كتب في هذا الشأن : " يتفق منهجُنا في بداية الطريق بعض الشيء مع منهج أولئك الذين أنكروا إمكان الوصول إلى اليقين.غير أنّهما يفترقان في النهاية غاية الاختلاف و يتعارضان كلّ التعارض. فهم يذهبون ببساطة إلى أننا لا يمكننا أن نعرف شيئا، وأنا أيضا أذهب إلى أننا لا يمكننا أن **نعرف شيئا يذكر في**

فرنسيس بيكون 1561 – 1626

جميع الحقوق محفوظة ©

الطبيعة بواسطة المنهج المستخدم الآن. إلاّ أنهم يمضون إذاك لكي يدمِّروا سلطة الحس والفهم، بينما نمضي نحن لكي **نبتكر لهما مساعدات ونزوِّدهما بدعائم**"[1].

1. ضد التقليد والانتصار للتحقّق التجريبي :

إن كتاب فرنسيس بيكون" الأورجانون الجديد"، هو كتاب حول المنهج، الذي بفضله يمكن الوصول إلى الحقيقية في العلوم. لقد عارض سلطة أرسطو وطغيان منطقه الصوري، والذي كان يُعتقد إلى نهاية القرون الوسطى أنّه معيار الحق ومنهج الصواب. وتظهر هذه المعارضة حتى في عنوان الكتاب " الأورجانون الجديد Novum organum " مقابلا له بالمنطق الأرسطي والذي سمّاه " الأورجانون الجديد"، وفي الأورجانون الجديد يَعْتبر بيكون **أن الاستقراء هو الوسيلة الوحيدة لمعرفة الطبيعة** معارضًا بذلك القياس الصوري لأرسطو. فبالنسبة له إنّنا، في العلوم، لا ننطلق إلاّ من الظواهر الطبيعية. وأن **الحقائق العامة هي نتاجُ مقارنةٍ بين الظواهر الجزئية والخاصة ؛ أي الظواهر المشاهدة بالحواس.** وبالنسبة للفلسفة التجريبية إن منهج بيكون هذا ليس مجرد قلب أو عكس للمنهج الأرسطي، بل هو تصحيح وإعادة الوضع إلى ما كان يجب أن يكون عليه. إن فلسفة بيكون لم تكن ضد أرسطو، فهو يعترف بفضله وبفضل كلّ الفلاسفة القدامى : " **كرامة المؤلفين القدماء محفوظة، وكذا كرامة الجميع. فنحن لا ندخل في مقارنةٍ من حيث العقول أو الملكات، بل مقارنة في الطرق والمناهج، ونحن لا نضطلع بدور القاضي بل بدور المرشد**"[2]. فما كان يعني بيكون أكثرفي أورجانونه

---

[1]. فرنسيس بيكون :الأورجانون الجديد – إرشادات صادقة في تفسير الطبيعة – ترجمة د. عادل مصطفى رؤية للنشر و التوزيع 2013 . ص .ص 27-28.

[2]. المرجع نفسه ، ص . 26.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

الجديد هو **تحطيم سلطان التقليد والعاطفة والخرافة** و وضع الإنسان الباحث عن الحقيقة في مواجهة الطبيعة و**معرفتها عن طريق التجريب**[1]، حيث يقول : " الفهم الإنساني ليس مجبولا من ضياء صرفوإنّما مُشرَب بالإرادة والعواطف. من هنا تأتي المعرفة التي يمكن أن تسمى" معرفة حسب الطلب"؛ فالإنسان أميل دائما إلى تصديق ما يفضله. ولذا فهو ينبذ الأمور الصعبة لأنّها تجشمه الصبر في البحث، وينبذ الاعتدال لأنه يضيق حدودَ أمله، وينبذ التعمّقفي الطبيعة لأنّه . أي الإنسان . مرتهن للخرافة، ويرفض نور التجربة لأنه متغطرس مكابر يظن أن العقل لا يليق به أن يهدر وقته في أشياء مبذولة متغيرة، ويرفض كل ما هو غير تقليدي خوفًا من رأي العامة. صفوة القول أن العاطفة تدمغ العقل وتصبغه بطرائق لا حصر لها خفية تند عن الإدراك في بعض الأحيان"[2].

2. نظرية الأوهام

يعتقد "بيكون" أن للخطأ أسبابًا تقتضيه، وعوامل تدعو إليه، ولا يمكن لِمَن يطلب معرفة الحقيقة إلاّ أن يبدأ بمعرفة أسباب الأخطاء ثم إصلاحها. وهناك من الأخطاء ما يتعلق بالعقل وهو أخطرها ولذلك وجبت العناية به. فالعقل كالمرآة إذا كانت صقيلة لا يشوبها اعوجاج أو فساد أو وسخ عكست صورة الأشياء كما هي عليه في الواقع. أمّا إن لحقها شيءٌ من ذلك جاءت الصور التي تعكسها فاسدة ومغايرة لما هي عليه في الواقع، لذلك وجب على من يريد أن يرى صور الأشياء على ما هي عليه في الواقع أن يبدأ بصقل المرآة وتنظيفها كي تستقيم فيها الصور. وذلك هو حال العقل الذي تشوّهه الأوهام والأحكام المسبقة

---

[1]. يقول بيكون :" إنّ الفكر ينبغي أن يكون مساعدًا للملاحظة لا بديلا عنها".

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

[2]. المرجع نفسه ، ص . ص 35 – 36 .

فلا يدرك صورة الواقع على ما هو عليه. ولهذا وجب على الإنسان أولاً أن يبدأ بتطهير عقله مما علق به من أوهام تعوق تفكيره.

وقد حدّد "بيكون" **الأوهام (الأصنام Idola)** التي على العقل أن يتحرّر منها في أربعة قال : " ثمة أربعة أنواع من "الأوهام" تحدق بالعقل البشري. وقد قيضت لكل منها اسمًا بغرض التمييز بينها. فأطلقت على النوع **الأول** " أوهام القبيلة " idols of the tribe "، وعلى النوع**الثاني** " أوهام الكهف" " idols of the cave "، وعلى **الثالث** أوهام السوق " idols of the market place "، وعلى **الرابع** "أوهام المسرح" " idols of theare "[1].

أوهام القبيلة :

وهي تعود إلى النقص الطبيعي في العقل الإنساني من حيث هو كذلك، إنّه عقل أنسان أورثته الخطيئة والكبرياء والغرور[2]. والذهن البشري أشبه بالمرآة الفاسدة تشوّه طبيعة الأشياء التي يدركها العقل، وإذا علم الباحث هذه الأوهام المشتركة تحرّك للتخلص منها والتنبيه عليها.

---

[1] . المرجع نفسه ، ص . ص 28 – 29 .

[2]. "وهي منغرسة في الطبيعة البشرية كاعتقاد الناس أن الحواس تعطي لنا معرفةً صحيحةً وهذا ما يرفضه العقل السليم المستنير، وكذلك ميْل الناس إلى تصديق ما يحبون أن يكون صحيحًا ". عبدالرحمن بدوي، الموسوعة الفلسفية ، ص . 395.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

أوهام الكهف[1] :

إذا كانت أوهام القبيلة تتعلّق بالجنس البشري، فإن أوهام الكهف تتعلق بالفرد الإنساني، وتأتيه تلك الأوهام من التربية الاجتماعية التي خضع لها أو من علاقاته الخاصة أو قراءاته أو الانطباعت التي تتركها الأشياء في نفسه.

أوهام السوق :

وهي أوهام تنشأ عن تواصل الناس واجتماعهم ببعضهم، فالناس يتواصلون عن طريق اللغة، ولذلك فهم فهم يختارون الكلمات التي يمكن للعامة أن تفهمها، وهكذا تنشأ مدونة أو قاموس من الألفاظ المحدّدة تحديدًا سيئا (كحالة اشتراك معاني الألفاظ، فاللفظ الواحد قد يدلّ على عدّة معاني) تعيق العقل و تُفسد أحكامَه.

أوهام المسرح

ومصدرها هذه الأوهام النظريات الفلسفية السابقة كنظريات " أرسطو"، و أفلاطون، يقول "بيكون" : " اعتبر كل الفلسفات التي تعلّمها الناس وابتكروها حتى الآن هي أشبه بمسرحيات عديدة جدًا تقدم وتؤدى على المسرح ؛ خالقة من عندها عوالم زائفة وهمية "، فهناك فلسفة تلغي التجربة وأخرى تكتفي بعددٍ قليلٍ من التجارب لتصل إلى قانون عام، وأخرى تخلط بين الفلسفة والدين ... .

---

[1]. استعارة من أسطورة الكهف لأفلاطون، يقول بيكون : " إن لكلّ إنسان كهفه الخاص به، والذي يعترض ويشوّه نور الطبيعة الواصلة إليه".

http://www.onefd.edu.dz
جميع الحقوق محفوظة ©

3. الإتجاه الفلسفي لفرنسيس بيكون

بالنسبة إلى بيكون إن المعرفة الحقيقية ليست هي المعرفة التي يُنتجها العقل بعيدًا عن كلّ اختبارٍ وتجربة، وإنّما التجربة الدقيقة والتي تراعي جملةً من الشروط التي تضمن سلامة الاستدلال هي وحدها القادرة على أن تصل إلى إنتاج المعرفة العلمية بعد أن يكون الباحث قد تخلّص من جميع الأوهام. وعلى هذا النحو يكون الاتجاه الفلسفي عند فرنسيس بيكون اتجاهًا تجريبيًا، و**التجريبية عنده لا تتنكر للعقل أو تهمله** على نحو ما فعل "دفيد هيوم" و"كوندياك[1]"،و**إنّما تحدُّ من سلطانه المطلق**، وقد ميّز بيكون نفسه بين التجريبية والأميريقية[2] من خلال تمثيل المذاهب الفلسفية بأنواع من الحشارات، فشبه **العقلاني** بالعنكبوت التي تنسج بيتها من ذاتها دون أن تستمدّ مواد البناء من الخارج؛ في إشارة لإنكار العقليين لمعطيات الحس. وشبه **الأمبريقي** بالنملة التي تعمل على تجميع غذائها من الطبيعة دون أن تضيف له من عندها شيئًا ؛ في إشارة لإنكاره دور العقل. وشبّه **التجريبيين** بالنحلة التي تجمع الرحيق من الطبيعة ثم تشكّله غذاءًا نافعًا وفي هذا **إشارة إلى تكامل العقل و التجربة في بناء المعرفة.**

وفي **الخلاصة** نقول ؛ أخي الطالب ؛ إن فضل " فرانسيس بيكون" يعود إلى **الدعوة إلى إصلاح منهج البحث في العلوم وتخليصها من سيطرة العقلية الأرسطية، وكذلك في الروح العلمية الجديدة التي بثّها حتى صار من روّاد حركة التنوير في القرن الثامن عشر.**

---

[1]. " كوندياك Condillac 1714 – 1780 " فيلسوف فرنسي صاحب النظرية الحسية Sensualisme القائلة بإنّ أصل المعرفة هو الحواس، وبالحواس فقط.

[2]. الأمبيريقية Empirisme أصل الكلمة يوناني empeiria، وتعني التجربة بصورة عامة، وكانت ثورة ضد الصورية Formalisme الأرسطية والديكارتية.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

ثانيا : تجاوز سلطان الفكر التقليدي والأخذ بمرجعية العقل :

ديكارت وفلسفته :

رنيه ديكارت(1596 - 1650) René Descartes فيلسوف ورياضي وفيزيائي فرنسي يعتبره كثيرٌ من مؤرخي الفلسفة أحد الآباء المؤسسين للفلسفة الحديثة. إنّه يمثُل قطيعة معرفية مع كلّ ما سبقه ؛ أي مع الفلسفة المدرسية وفلسفة أرسطو. اشتهر بالكوجيتو " cogito" "أنا أفكر إذن أنا موجود " ، قام بإضافات في علم البصريات، ويعتبر أحد المؤسسين للنزعة الآلية، وفي الرياضيات إليه تنسب الهندسة التحليلية.

1. من الشك إلى اليقين

قامت فلسفة "ديكارت" على، نقد الموروث الفكري والفلسفي، وجعل كقاعدة عامة له " **عدم قبول الأفكار إلاّ إذا كانت على قدرٍ كافٍ من الوضوح و التميز** "، ولهذا فإنّه انطلق؛ في فلسفته؛ من الشك في جميع المعارف المعطاة والمألوفة، واعتبارها أحكامًا مسبقة أخضعها للنقد.

وكانت أوّل الأفكار التي علّقها وأعاد النظر فيها تلك التي توارثها عن الفلسفة المدرسية " فلسفة القرون الوسطى"، وحاول أن يؤسِّس منهجًا جديدًا للتفكير الفلسفي غيرالمنطق الأرسطي الذي هيمن على الحياة الفكرية خلال القرون الوسطى كلّها. ولعلّ دعوته لمنهجٍ جديدٍ هو الذي زاد من تقدير الفلاسفة والمفكرين له، فهذا "هيغل" كتب عنه : " إنّه البطل الذي أعاد الأشياء كلية إلى البداية، إنّه

جميع الحقوق محفوظة ©

أعاد تنظيم أرضية الفلسفة من جديد"[1]، وتحدث عنه سبينوزا منقبل معتقدا أن كلَّ من يريد التفلسف في وسعه أن لا يعرف أرسطو، لكنه في مقابل ذلك من الواجب أن يعرف ديكارت[2]. فبالنسبة للفلاسفة الغربين حتى خصومه في المذهب يعتبرون "ديكارت مجدِّدًا للفلسفة، و واضعًا لأسسها الجديدة. وحسب ديكارت : إنّ كل فلسفة جديرة بهذا الإسم يجب أن تنطلق من الشكّ مستخدمة في ذلك تفكيرا على **قدرٍ كبيرٍ من النظام يكون في صرامة ودقة ووضوح المنهج الرياضي**. ولهذا **اعتُبر الشك الديكارتي شكًّا منهجيًا** ؛ أي تعليق مؤقت للأحكام والمعارف إلى غاية التثبّت منها وفق المنهج الصارم الذي اقترحه.

وقد شكّ ديكارت في جميع الأحكام والمعارف التي تلقاها بالتقليد، أو حصلت عنده من معطيات الحس ؛ أي أنّه شك في كل ما كان يعرفه، وعبّر عن هذا الشكّ حيث قال : " كل ما تلقيته، حتى الآن، على أنّه أصدق الأمور و أوثقها، قد أكتسبته بالحواس. غيرأنّي وجدت الحواس خادعةً في بعض الأوقات، ومن الحكمة ألا نطمئن دائمًا كلّ الإطمئنان، إلى من يخدعنا، ولو مرة واحدة "[3]، لكنه ما فتئ أن تخلّص من هذا الشكّ وعاد من جديد إلى حالة اليقين، لكنه يقين مؤسسعلى الوضوح العقلي، وليس مجرد التقليد.

---

[1]. (Coadou François, « Descartes et Aristote » Essai de réflexion concrète sur les rapports entre philosophie et histoire de la philosophie,p.157)

[2]. المرجع نفسه، ص .157.

[3] . ديكارت، تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى، ترجمة كمال يوسف الحاج، ص . 48 .

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

2. المنهج : من المنطق الصوري إلى النظام الرياضي

كان المنطق الصوري معيارًالكل تفكيرٍ سليمٍ، وكان الميزان الذي يفصل بين الحق والباطل. وبفضل هذا المنطق الصوري تربّع "أرسطو"على عرش المعرفة أزيد من 20 قرنا. ورغم أنّ المنطق الصوري الأرسطي قد خضع لبعض التصحيحات والإضافات منذ نشأته في اليونان، لكن لم يُشكّك في قيمته كمرجعٍ للحقِّ عدا عددٍ قليلٍ من المفكرين والفلاسفة.

وأهمية ديكارت في الفلسفة تأتي من كونه استطاع أن يؤثِّر في أغلب الفلاسفة الذي جاؤا من بعده ويوجِّه عنايتَهم إلى صور أخرى من المنهج غيرالذي ساد خلال العصراليوناني والعصر الوسيط. ويعترف له بهذا الفضل حتى خصومه كما تقدم. وقد اقترح "ديكارت"**منهجًا**[1] **للتفكير يراعي التمشي الرياضي في صرامته و وضوحه.** ونظّم هذا التمشي بمقتضى أربع قواعد على النحو التالي :

القاعدة الأولى : " أن لا أقبل أيّ شيء على أنّه حقيقي ما لم أعرفه على نحو واضح وبديهي أنّه كذلك؛ أي أن أتجنّب كلّ تسرّع وتوقع، وأن لا أفهم من أحكامي إلاّ ما ظهربشكلٍ واضحٍ ومتميّزٍ، بحيث أنّه لم يعدْ في وسعي أن أضعه موضع شك ".

ففي هذه القاعدة يوصي كلَّ من يطلب الحقيقة ويريد استخدام عقله استخدامًا جيّدًا أن لا يقبل شيئا من الأفكار والمعارف دون اختبار، والحقيقي منها

---

[1]. وله كتاب بعنوان : مقالة الطريقة لحسن قيادة العقل والبحث عن الحقيقة في العلوم، ويقصد بالمنهج :" مجموع من القواعد اليقينية السهلة، التي بالمراعاة الدقيقة لها يتيقّن المرءُ أنّه لن يحسب الباطل حقًّا وأن يصل إلى المعرفة الصحيحة بكل ما هو قادر عليه دون أن يبدّد جهود عقله في غير طائل متميّيا معرفته في تقدّمٍ مستمرٍ".

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

هو الذي يصمد أمام محاولات التشكيك. والذي يبرّر هذه القاعدة هي كوننا خضعنا منذ ولادتنا وطيلة حياتنا إلى تربية لقنتنا كثيرًا من الآراء على أنّها حقائق، دون أن نخضعها للمساءلة والنقد ونتحقق منها، إلى جانب عدم التشبث بالأحكام السابقة واعتبارها أحكاما لا تخضع للشك و وصفها باليقينية بصورة مطلقة.

القاعـدة الثانيــة : " أن أقـوم بتقسـيم كـل صـعوبة أفحصـها ؛ أي أختبرها، إلـى أقصـى عدد ممكن ومطلـوب من الأجزاء كـي أسـتطيع حلّها علـى أحسن وجهٍ".

وتفيد هذه القاعدة وصية على أنّ كل من نريد حلّ مشكلة أو صعوبة ما أن يردُّ بالتحليل العقلي، المركَّبَ إلى عناصره، والمعقَّد إلى ما هو أبسط. وهذا التمشي الأساسي للتفكير يقوم على مسلّمة أنه لا يمكن للفكر أن ينير أيّ مسألة أو قضية دون أن يقوم بتقسيمها وتفكيكها للوصول إلى الأفكار والعناصر البسيطة.

القاعـدة الثالثـة : " أن أوجِّـه أفكـاري بنظـامٍ، مبتـدءًا بالموضـوعات الأبسط والأيسر، ثم أتدرج في المعرفة شيئا فشيئا إلى غاية معرفة الأكثر تعقيدا".

من أجل بِناء معرفةٍ وفق نظامٍ صارمٍ يجب أن ننطلق من العناصر البسيطة التي كشفها لنا التحليل في المرحلة السابقة، والفكرة البسيطة هي التي لا تحتاج إلى دليلٍ ولا تكون مسبوقة بأية فكرة أخرى، إنّها تكون دليلا على صدق غيرها ولا يكون غيرها من الأفكار الناتجة عنها دليلا على صدقها.

القاعدة الرابعـة : " أن أقوم بإحصـاءات تامـة ومراجعات عامـة على نحو أتأكد معه من أنني لم أغفل شيئًا ".

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

وتفيد هذه القاعدة وصية على أنّه من الضروري أن نتأكّد أثناء الاستدلال أنّنا لم نغفل أو ننسى النظر في جميع الأحكام، لأنّه كما يقول" جيلزونGilson " : البديهية تضمن حقيقة المبادئ التي ننطلق منها، لكنها لا تضمن حقيقة السلاسل الاستنتاجية الطويلة التي نقوم بها ولذلك من الضروري إحصاء وتتبع جميع الأحكام في سلسلة الاستنتاج والنظر في مدى وضوحها دون أن نهمل أيَّ حكمٍ منها. إن **منهج الفلسفة الجديد كما مارسه ديكارت يقود إلى بناء نسقٍ جديد من المعارف[1] يحتكم الوصول فيها إلى مبادىء العقل ويرجّح فيها البرهان العقلي**، منهج لهداية العقل في بحثه عن الحقيقة؛ إلا أنّديكارت نفسه قد علّق على هذا المنهج بقوله : « ليس غرضي ها هنا أن أعلّم المنهج الذي ينبغي على كلّ امرىء اتباعه من أجل اقتياد عقله على النحو الصحيح، بل فقط أن أبيّن الطريق الذي سلكته أنا لإرشاد عقلي ».

و**خلاصة القول**؛ أخي الطالب؛ إنّ ديكارت، مثله مثل بيكون من قبل، كان يدعو إلى إعادة تأسيس العقل الغربي **على مبادئ جديدة وتدريبه على منهج مغاير** لذلك الذي ساد أكثر من ألفي عام؛ أي المنهج الأرسطي، والذي أشبع بالقناعات اللاهوتية المسيحية، وهذا التداخل بين الديني والفلسفي هو الذي جعل من الفكر الأرسطي مقدّسًا، وكلّ من يفكّر بطريقةٍ مخالفةٍ، أو يقدّم رأيًا معارضًا يُتهم بالزندقة والكفر على نحو ما حدث مع "كوبرنيكوس" و "غاليلي" . لكن "ديكارت"، على خلاف "بيكون"، **أعطى الأولوية للعقل على الحواس، لكن دون أن يهمل دورها.**

[1]. وتجلّى هذا بشكلٍ واضحٍ في ميداني الرياضيات والفيزياء.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

III. الفلسفة ودورها في تحرير وعي الإنسان وتنويره

إن ما تركته الحركات الإصلاحية من آثار على مستوى الوعي الديني من جهة، وما تركته الحركة الفكرية والفلسفية على مستوى المناهج والمبادىء من جهة أخرى، بالإضافة إلى النزعة الإنسانية التي ميزت الفلسفة الحديثة، تحدّدت مهام جديدة للفلسفة، نذكر منها :

أ . تنوير الأذهان بالمعارف العلمية الجديدة، وجعل ما تنتهي إليه العلوم من اكتشافات في متناول الجميع دون تمييزٍ.

ب . دفع العقول إلى البحث والتفكير والتساؤل، والكفّ عن الاهتمام بالخرافة والخوارق ... .

ج . نشر فكرة أن التسامح الديني وحرية التفكير وحقوق الإنسان **هي من الحقوق الطبيعية اللصيقة[1] بالأفراد**، فيكون من مهام الفلسفة تأصيل هذه الحريات والمحافظة عليها.

وقد ساهم الموسوعيون[2] في نشر هذه الثقافة الفلسفية التنويرية والتي كانت في الأصلمن نتائج هذا العصر الذي سمّي بحقٍّ "عصر الأنوار Siècle des

---

[1]. أي الملازِمة للوجود الإنساني والتي لا يمكن التنازل عنها لأنها تمثّل ماهيته.

[2]. الموسوعيون مجموعة من المفكرين الفرنسيين جمعوا وألّفوا دائرة معارفEncyclopédie هي في الأصل ترجمة لـ "Cyclopædia"، تحت عنوان: " القاموس العقلي للعلوم والفنون والصناعات"، l'Encyclopédie ou Dictionnaire raisonné des sciences, des arts et des métiers، ونشرتبين 1751 – 1772 في 17 جزء، ومن أشهر مؤلفيها : ديدرو، دالمبير ،فولتير، مونتسكيو وروسو، ويحوي هذا القاموس أو دائرة المعارف سجلاً للتقدّم الذي أحرزته البشرية في كلّ العلوم الطبيعية والإنسانية والفنون و الآداب.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

Lumières"[1]، وقد ناقش الموسوعين كلّ القضايا التي تتعلّق بالإنسان وبوضعه الإجتماعي والسياسي والإقتصادي والديني، واستنكار كلّ ما يحطّ من قيمة الإنسان في هذه المجالات، فلا شك أن يحاط هذا المشروع بمضايقات لا حدّ لها. وعلى الرغم من ذلك فقد صار لفلسفة التنوير إشعاعها الذي نشر نزعة التحرّر في جميع مجالات النشاط الإنساني بصرف النظر عن اختلاف الأعراق والأديان والثقافات.

فإذا كانت الفلسفة الحديثة قد حرّرت الفكر الفلسفي من كلّ القيود التي كبّلته إلى ذلك الوقت، فإنّها قادرة على تحرير الإنسان من كل القيود السياسية والاجتماعية والدينية التي كان حبيسها، فالفلسفة أصبحت وسيلةً ضروريةً للتغييرالاجتماعي ؛ فكانت نظرية العقد الاجتماعي لـ" جون جاك روسو" التي فسّرت الانتقال من المجتمع الطبيعي(بمكاسبه الطبيعية) إلى المجتمع المدني المنظّم تنظيما سياسيًا (بمكاسبه السياسية والمدنية الجديدة)؛ من خلال عقدٍ أو ميثاقٍ[2] يتمّ بموجبه، **تنازل الفرد عن حقّه الطبيعي لصالح الإرادة العامة التي من صلاحياتها، كفالة الحرّيات له،** ذلك لأنّ خضوعه لها هو خضوع لإرادته الذاتية؛ قد **غيرت من نظرة المجنمع للحياة السياسية والحقوق المدنية؛ أي حقوق المواطن وعلاقة الحاكم بالمحكوم.** لقد ساهمت الفلسفة الحديثة في الحدّ من التسلّط الديني ونشر قيم التسامح وتحرير العقل من كلّ هيمنة، كما ساهمت

[1]. وهو عصر العقل والتسامح.

[2]. يعتبركتاب روسو " في العقد الاجتماعي " إنجيل الثورة الفرنسية.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

كتابات "مونتسكيو[1]" في التأسيس للأنظمة الديمقراطية الحديثة، ومن أهم مبادئها : **مبدأ الفصل بين السلطات**، التي كانت في السابق مجتمعة في يد حاكمٍ واحدٍ، وذلك كان **مصدر الاستبداد والطغيان**، والمقصود بالسلطات : السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية والسلطة القضائية، ونشر قيم الحرية والعدالة والمساواة ومفاهيم الحقوق السياسية والمدنية، وهي التي كانت ملهمة للثورات السياسية الحديثة في فرنسا وبريطانيا لإرساء قواعد النظام الديمقراطي الحديث.

IV. معيار الصدق بين العقل والواقع

أولا : الحقيقة تطابق الفكر مع ذاته

1 . بناء نسق المعرفة الشاملة :

لاحظت ؛ أخي الطالب ؛ أن مشكلة المنهج الفلسفي كانت من بين أهم الموضوعات التي تناولتها الفلسفة الحديثة، وبعد أن تم تحرير العقل من سلطان فلسفة أرسطو وسلطان الكنيسة، والأخذ بمرجعيات جديدة، فكان من نتائج ذلك، **ظهور أنساقٍ فلسفيةٍ شاملةٍ من المعرفة النظرية القائمة على الاستدلال، والمعرفة العملية المبنية على الواجب، وكذا على حاسة الذوق التي تنطوي على تقديرٍ لنوعيْ المعرفة النظرية والعملية**، من أهم أفكارها :

---

[1]. " مونتسكيو Montesquieu 1689 – 1755" فيلسوف فرنسي صاحب كتاب "روح القوانين" الذي كان مصدرًا للدستور الفرنسي (1791) وللدستور الأمريكي. من أهم مبادىء الأنظمة الديمقراطية الحديثة ، مبدأ الفصل بين السلطات.

http://www.onefd.edu.dz
جميع الحقوق محفوظة ©

أ . القول بوجود " **أحكامٍ قبلية**[1]"، كمفهوم الزمان والمكان والعلّية الكافية[2]، وهي مقوّم **للعقل النظري**، و " **أحكامٍ تركيبية بعدية** " تأتي بالتجربة الحسية، و " **أحكام قبلية بعدية** " تساهم فيها التجربة والاستدلال العقلي البرهاني.

ب . أمّا من الناحية العملية فيتمثّل في الجانب الأخلاقي، ففكرة **الواجب الأخلاقي** الصادرة عن **العقل العملي**، فالقانون الأخلاقي كما يسمّيه كانط[3] يُستمدّ من العقل العملي نفسه مباشرة، فالأخلاق تبحث عن قوانين ومبادىء عامة مطلقة وموحّدة وعالمية، لا يمكن استخلاصها من التجربة النسبية والمتغيّرة، يقول كانط : " **من كلّ ما يمكن تصوّره في العالَم، بل وخارج العالم بعامة، ليس ثمّة ما يمكن أن يعدّ خيرًا بدون حدودٍ أو قيودٍ، اللهم إلاّ الإرادة الخيّرة** "، والإرادة الخيِّرة هي مصدر الواجب.

ج . ملكة الحكم الجمالي، وهي ملكة التقدير، وهو غاية في ذاته، والتقدير لا يتم إلاّ بالجمع بين النظري المحض والعملي، والجميل هو ما ينال إعجاب الجميع.

---

[1]. القبلي A priori وهو السابق والمستقلّ عن كلّ تجربة حسّية، في مقابل ما هو بعدي A postériori، وقد يشير القبلي إلى ما هو فطري.

[2]. وهي القول بأنّه " لا بد للموجود الممكن من سببٍ سابق يحدّده".

[3]. " إيمانويل كانط 1724 – 1804 Emmanuel Kant " فيلسوف ألماني يُعرف بفلسفته النقدية النظرية والعملية، ومن مظاهر تعلّقه بأخلاق الواجب كتب في نهاية " نقد العقل العملي" : « السماء المرصّعة بالنجوم من فوقي

والقانون الأخلاقي في باطن نفسي ».

وقد نُقشت هذه العبارة على جدارٍ من جدران ضريحه. من أهم كتبه : نقد العقل المحض، نقد العقل العملي، نقد ملكة الحكم، ميتافيزيقا الأخلاق.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

نستنتج ؛ أخي الطالب ؛ أن فلسفة كانط النقدية حاولت أن تجيب بالدرجة الأولى عن سؤالين جوهريين : **ماذا يمكنني أنأعرف؟، ماذا يجب أن أعمل؟** وهناك سؤال يتعلّق بالحكم الجمالي : ما هومسموح لي بالأمل فيه؟.

2 . جدلية الفكر السلبق للمادة :

إن الأنساق الفلسفية الحديثة، أرادت أن تجمع بين طيّاتها كلّ معطيات المعرفة العلمية والفلسفية، على أساسٍ نقدي وبنائي تركيبي، ولاشك أنّ هذا التنوع يحتاج إلى تنسيق لتجاوز كل ما يكذمكن أن يظهر من تناقضٍ بين العقل والواقع، بين النظري والعملي، بين الذات والموضوع، بين الفكر والواقع، واعتبار العقل هو أساس حل كلّ هذه الصراعات، يجيب هيجل ؛ صاحب المنطق الجدلي ؛ **أن الصراع هو أساس كلّ حركة على مستوى العقل النظري وعلى مستوى الواقع وكلّ ظواهرهو مظاهره.** فالتناقض هو علاقة إيجابية من حيث إنّه منتج. فالقضية تحمل نقيضها ومن اجتماعهما يكون التركيب، وتلك هي سيرورة المنطق الجدلي وهو منطق التطوّر بائتلاف النقيضين واجتماعهما في قضية ثالثة، وهذا التطور ؛ عند هيجل؛ هو تطوّر للفكرة المطلقة والحقيقة الأولى، وما الواقع والتاريخ إلاّ مظاهر لها. وهذا ما يميّز مثالية هيجل.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

ثانيا : الحقيقة تطابق الفكر مع الواقع

إن الأخذ بمرجعية الواقع يسمح لنا بتقديم قراءة جديدة لهذا الصراع بين الفكر والمادة، وتقديم نظرة جديدة للواقع.

1 . جدلية المادة السابقة للفكر

إن حركة الفكر ليست إلاّ انعكاسا للحركة الحقيقية في الواقع؛ أي إرجاع الفكر إلى المادة [1]، وبذلك يُفسّر التاريخ على أساس العوامل المادية، **فجدلية الأشياء هي التي تتحكّم في جدلية الأفكار**، لقد قال ماركس : " وبالنسبة لي وعكس ذلك[2] ، ليست حركة الفكر سوى انعكاس لحركة الواقع بعد أن انتقلت إلى دماغ الإنسان [3]". أمّا فيما يخص الإنسان الذي يريده ماركس؛ في فلسفته الاجتماعية والاقتصادية ؛ هو ذلك الذي لا يقيم تحقيقه لذاته وكماله على أيّ شكلٍ من التصورات المجرّدة، وإنّما يحقّق نفسه بالاتحاد مع العالم بواسطة العمل الخلاّق والنشاط البنّاء والعلاقات الاجتماعية المنسجمة، في مجتمع سليم، **يكون العمل فيه تعبيرًا عمّا هو إنساني في الإنسان.**

انجلز وماركس

---

[1]. كارل ماركس 1818 – 1883 Karl Marx فيلسوف سياسي واقتصادي ألماني. من أهم مؤلفاته : رأس المال، بؤس الفلسفة، وألّف مع صديقه انجلز : " البيان الشيوعي" و "الأسرة المقدسة".

[2]. ويقصد بذلك منطق هيجل الذي يعطي الأولوية للفكر.

[3]. نقلا عن أصول الفلسفة الماركسية، جورج بوليتزر وآخرون ، ص . 279 .

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

2 . من الماورائيات إلى العلم الوضعي

إذا كان الجدل قائما بين الفكر والمادة وأيّهما له الأسبقية والتأثير في الآخر، فهناك مبدأ أول يفسّر تطور حركة الفكر كما تصوّرها "أوغست كونت[1]". حبث يرى أنّ تطوّر التفكير البشري قد مرّ بثلاث مراحل و أطوار :

أ . **المرحلة اللاهوتية :** ساد فيها الاعتقاد الروحي بوجود إلهٍ . أوآلهة . كمدبّر للعالَم، ويتحكّم في ما يجري في العالم من ظواهر، وتفسيرهذه الظواهر يكون بردّها إلى سببها الأوّل والعلّة الأولى والنهائية، فكان الإنسان الأول يتصوّر الظواهر على أنّها ناتجة عن التدخّل المباشر لعوامل خارقة على الطبيعة.

ب . **المرحلة الميتافيزيقية :** وفيها تمّ تعديل التفكير من القوى الخارقة إلى قوى مجردة يتصوّر أنها قادرة بنفسها على إحداث كلّ الظواهر المشاهدة. ففي المرحلتين السابقتين كان التفكير منصبًّا على العلل النهائية والمبادىء الأولى.

ج . **المرحلة الوضعية :** وفيها يكتفي الإنسان بمعرفة العلاقات السببية بين الظواهر على أساس تجريبي علمي.

إن البحث عن العلِل الأولى والنهائية لم يعد أمرًا مقبولاً، لأن مباحثهالا يمكن تبريرها بالتجريب والاستقراء العلميين، فيجب أن ننظرإلى الظواهر على أنّها خاضعة لقوانين طبيعية ثابتة، والهدف من كلّ الجهود هو " **الكشف عن القوانين وتنظيمها في أقل عدد ممكن**"، وهذا ما يفسّر توسيع مجال البحث العلمي من مجال الطبيعة إلى مجال الظواهر الإنسانية، حيث كان "أوغست كونت" مؤسّسا لعلم الاجتماع، فالعلم يجب أن يغزوَ كلّ مجالات المعرفة الإنسانية، وقد

---

[1]. أوغست كونت 1798 – 1857 ComteAuguste فيلسوف فرنسي مؤسس الفلسفة الوضعية Positivisme .

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

أخذت هذه الفلسفة بعدًا فكريًا واسعًا في القرنين التاسع عشر والعشرين نتيجة انتشار الروح العلمية التي كانت سببًا في تطور أغلب العلوم.

خاتمة : حلّ المشكلة

إن **الفلسفة الحديثة كإنتاج فكري إنساني**، لَصرحٌ عظيم، وبناءٌ شامخٌ بلا شك، تأسّست انطلاقا من **ثورة نقدية ابيستيمولوجية لمعارف الإنسان ومناهجها ومناطقِها**، وما عرفه العلم من تطورٍهائلٍ بنظرياته وكشوفاته، بصورة غير مسبوقة، وركّزت على تحصيل المعرفة بمختلف أبعادها، تظرية كانت أو عملية، فلسفية أو علمية، وسعت إلى تغيير الواقع الأخلاقي والديني والاجتماعي والسياسي. إلاّ أنّ هذا لا يعني أنّها تتفوّق على أيّ إنتاج فلسفي سابق منسوب إلى اليونان أو المسلمين. فلكلّ فلسفة مكانتها بالنظر إلى عصرها وموضوعاتها.

http://www.onefd.edu.dz
جميع الحقوق محفوظة ©

تطبيق : نص فلسفي

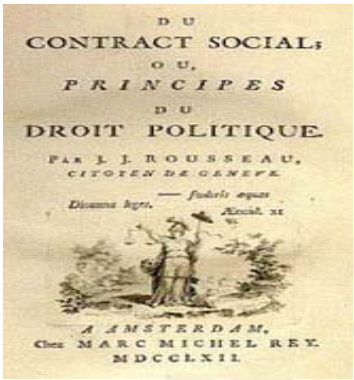

« افترض البشر، وقد بلغوا هذا الحدّ الذي تتغلّب فيه العراقيل التي تهدّد بقاءهم في حالة الطبيعة، بقوّة مقاومتها، على القوى التي يستطيع استخدامها كلّ فردٍ للبقاء في هذه الحالة. عندئذ يعود غير ممكنٍ أن تستمرّ هذه الحالة البدائية، وأن الجنسَ البشريَ لا ريب هنالك إنْ لم يغيّر كيفية وجوده. والحال أن البشر لا يستطيعون خلق قوى جديدة، إنّما يستطيعون فقط توحيد القوى الموجودة وتوجيهها، فلا سبيل لهم بعد إلى البقاء إلاّ في ضمّ القوى بعضها إلى بعض وتأليفها في كتلة تستطيع التغلب على القوى المضادة، وفي جعلها تتحرّك بدافعٍ واحدٍ وتعمل باتفاقٍ. هذه الكتلة من القوى لا يمكن أن تتولّد إلاّعن تظافرِ قوى الكثير من الناس. لكن، بما أنّ قوّة كلّ إنسانٍ وحريته هما عدّة بقائه الأولى، فكيف يسخّرهما، دون إيذاء نفسه، ودون إهمال ما يجب عليه من العناية إزاء نفسه؟ وإذا عدنا بهذا الإشكال إلى موضوع بحثي أمكنني صياغته على النحو التالي : إيجاد شكلٍ للتجمّعِ يحمي يحفظ بمجموع القوّة المشتركة شخصَ كلِّ واحدٍ وممتلكاته، ويظلّ بواسطته كلّ واحدٍ، وإنْ اتحد مع الجميع، لا يطيع سوى نفسه، ويبقى حرًّا بنفس الدرجة التي كان عليها سابقًا. ذلك هو المشكل الأساسي الذي يقدّم العقد الاجتماعي حلّه.[...] إذا أزحنا إذن عن الميثاق الاجتماعي كلَّ ما ليس من جوهره، سنجد أنّه يمكن اختزاله في العبارات التالية : " يضع كلّ واحدٍ منا شخصه وكلّ قوّته تحت سامي قيادة الإرادة العامة ونتقبّل كجسد واحدٍ أي عضو ضمننا كجزء لا يتجزأ من الكلّ.»

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

جون جاك روسو[1]

في العقد الاجتماعي ص 17 ، 19

تطبيق : نص فلسفي

«و مفهوم الفلسفة إلى الآن ليس إلاّ مفهومًا مدرسيًا، بمعنى مفهوم نظام للمعرفة لا يبحث عنه إلاّ كعلمٍ ليس له من غايةٍ أخرى سوى الوحدة النسقية لهذا العلم، وبالتالي الكمال المنطقي للمعرفة. ولكن يوجدُ أيضًا مفهومٌ كونيٌ كان دائمًا أساسًا لهذه التسمية خصوصًا عن تشخيصه (إبراز معالمه) وتمثّله باعتباره نمطًا ضمن المثل الأعلى للفيلسوف. ومن وجهة النظر هذه، تكون الفلسفة هي علم العلاقة لكلّ معرفةٍ ذات غايات جوهرية للعقل الإنساني. وليس الفيلسوف فنّان العقل، ولكنه مشرّع العقل الإنساني نفسه، وبهذا يكون من الغرور أن يُسمي أحدٌ نفسه فيلسوفًا و يدّعي أنّه بلغ نمطًالا وجود له إلاّ في الفكرة.

إنّ الرياضيَ والفيزيائيَ والمنطقيَ، مهما يكن نجاح الأولين باهرًا في المعرفة العقلية ومهما يكن نجاح الأخرين باهرًا بصفةٍ خاصة في المعرفة الفلسفية، فهم ليسوا مع ذلك سوى فناني العقل. فهناك أيضًا متحكّم في التصوير المثالي يجمع بينهم ويستعملهم كوسائل لتعزيز الغايات الجوهرية للعقل الإنساني. ذلك وحده الذي كان يجب علينا فقط أن نسميه فيلسوفًا، ولكن بما أنّ هذا الفيلسوف نفسه لا يوجد في أيّ مكان، بينما فكرة تشريعه يعثر عليها في عقل إنساني، فإنّنا نتعلّق فقط بفكرة التشريع هذه ونحدّد من أقرب السبل ما تقتضيه الفلسفة حسب ذلك المفهومالكوني من وجهة نظر الغايات، من أجل الوحدة النسقية.

---

[1]. ج. ج . روسو J.J.Rousseau 1712 – 1778 فيلسوف وكاتب فرنسي، ساهم في كتابة وتحرير دائرة المعارف فيعصر الأنوار، من أهم مؤلفاته: " في العقد الإجتماعي"، "أصل التفاوت بين الناس ، "أميل ، في التربية ".

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

ليست الغايات الجوهرية، رغم ذلك، هي الغايات السامية إذ لا توجد إلاّ غاية واحدة سامية ضمن متتالية منتظمة ومتكاملة للعقل. وإذن فهذه الغايات[1] إمّا أن تكون هي الهدف الأقصى أو غايات ثانوية تنتمي، ضرورة كوسائل، لهذا الهدف الأقصى. إنّ الهدف الأقصى ليس إلاّ المصير المعلّق للإنسان وفلسفة هذاالمصير تسمى الأخلاق. وبسبب هذا الامتياز الذي لفلسفة الأخلاق عن بقية المكتسبات الأخرى التي للعقل، كان يُفهم دائمًا خاصة لدى القدماء من كلمة فيلسوف المهتمّ بالأخلاق. وحتى إلى اليوم فإنّ المظهر الخارجي للسيطرة على النفس بالعقل، يجعلُنا نسمّي إنسانًا فيلسوفًا و ذلك بضربٍ من المماثلة، رغم معرفته المحدودة.

إنّ تشريع العقل الإنساني(الفلسفة) ذو موضوعين : الطبيعة والحرية، وبالتالي فالفلسفة تحتضن القانون الفيزيائي كما تحتضن القانون الأخلاقي، أولاً في نظامين خاصين وأخيراً في نظامٍ فلسفي واحدٍ. إنّ فلسفة الطبيعة تتعلّق بكل ما يوجد، وفلسفة الأخلاق تتعلّق فقط بما يجب أن يوجد.»

كانط[2]

نقد العقل المحض

ترجمة مجموعة ص 561 ، 562

---

[1]. راجع فلسفة كانط الأخلاقية ، و وازن بين التشريع في مجال العقل العملي والعقل النظري المحض.

[2]. كانط 1724 - Kant 1804 فيلسوف ألماني مؤسس الفلسفة النقدية .

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©